الحِشَري

بعد أن أديت صلاة الفجر في مسجدي المفضل «جامع النصر» بقرية منية محلة دمنة، مركز المنصورة، استقللت سيارة بيجو 7 راكب من أمام منـزلي إلى القـاهرة؛ لأبدأ رحلة عملي الأسبوعية المعتادة بجريدة الدسـتور. اسـتأذنت سـائق السـيارة بالنزول في محطة الزراعة حتى أستقل المترو المتجه إلى الدقي.

على شباك تذاكر المترو فوجئت بالكاتب الصحفى الكبير سعد هجرس – رحمه الله– يحاول جاهدًا ضمن طابور طويل من الركاب أن يحصل على تذكرة.

على الفور استأذنته بأن أقوم أنـا مكانـه بهـذه المهمـة، عـلى أن ينتظـرني خـارج الطابور لبضعة دقائق؛ حفاظًا عليه في هذا العمر المتقدم من الإرهاق والتعب، وقد كان.

ولأن الكاتب الكبير «بلدياتي»، وكان مستشارًا صحفيًّا لجريدة الدستور، وأحد كتابها الكبار لفترة طويلة؛ كانت علاقتي به جيدة جدًّا.

داخل إحدى عربات المترو، وفي تمـام السادسـة والنصـف صـباحًا، جلسـت بجوار «هجرس»، وبدأنا نتحدث عن همجيـة الجماعـة الإرهابيـة بعـد اغتصـاب عناصرها حكم مصر.

حينها قال لي:

– شوف يا محمود، القاعدة القانونية المحترمة في أي دستور محترم وفي أي دولة محترمة في كل أنحاء العالم تقول «ما بُنِيَ على باطل.. فهو باطل»، ثم سألني:

– حلو الكلام؟؟

– حلو جدًّا وجميل كمان. اتفضل كمل.....

– بكل سرور، يعني الشعب الذي تعاطف منذ ما يقرب من الـ 85 عامًا مع جماعة الإخوان، قد سئمها اليوم، وهتف ضد مرشدها «يسقط يسقط.. حكم المرشد».. وده معناه بطلان حكم مكتب الإرشاد لمصر وفقدان شرعية مندوبهم الرئاسي منذ أن حنث بيمينه، وكذب على الشعب، ولم يحترم القانون والدستور أو المواطن الذى منحه صوته، سواء لعدم حبه لمنافسه أو لثقته في جماعته.

قلت له محفزًا:

– أصبتَ أستاذنا الكبير، معاك، كمل من فضلك....

وقبل أن أفتح فمي بكلمة أخرى، اشترك في الحديث معنا أستاذ جامعي بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، هكذا عرفنا بمكانته العلمية دون أن يفصح لنا عن اسمه، لا يجاوز عمره الأربعين عامًا، وردَّ على كلام «هجرس»، قائلاً:

– سلم لسانك سيدي الفاضل، مع إضافة إن كلام حضرتك قديم جدًّا، والكل فاهمه وحافظه كويس.

وأضاف:

– لأ.. من فضلك انتظر لحظة.. فيه كارثة حصلت منذ أربعة أيام.

هنا وجدت نفسي أقول للأستاذ الجامعي:

- يا ساتر يا رب! إيه هي الكارثة يا دكتور؟

أجاب:

- المحكمة الدستورية العليا قضت أمس الأول بأن مجلس الشورى «البااااطل».. «باطل»، ثلثه باطل، وكله باطل، لكن مع إيقاف التنفيذ، والحكم ده ينطبق أيضًا على مجلس نواب الجماعة، والواضح جدًّا إن زيارة أخونا «حاتم بجاتو» للدستورية العليا قبل النطق بهذا الحكم كان فيها سر «جامد» جدا؛ لأن الحكم في هذه الحالة معناه «محلك سر»، والكلام ده فسره الرئيس الإخواني حينما قال إن «الشورى» باقٍ في مهامه التشريعية لحين الانتهاء من انتخابات مجلس النواب.

هنا وجه «هجرس» سؤاله للدكتور:

- يا نهار «بمبي» !!.. يعنى المحكمة ما زالت تحت الحصار الإخواني؟!

أجاب أستاذ الاقتصاد والعلوم السياسية:

- أعتقد ذلك يا افندم. والدليل واضح من إعلان القياديين الإخوانيين: عصام العريان ومحمد البلتاجي منذ أيام قليلة مضت عن تعديلات قانونية ودستورية لتحجيم دور المحكمة الدستورية. إذًا المحكمة بهذا الحكم أغضبت الجميع على ما يبدو.. لا الإخوان وأحبابهم فرحون به، ولا القوى المدنية أيضًا، ومن ثم وضعت المحكمة نفسها في مأزق يصعب الخروج منه مرة أخرى، وبالتالي ضاع الشعب في متاهات وحارات وأزقة «الجماعة الإرهابية»، ونَسِيَ كل مشاكله بما فيها القضايا المصيرية، مثل تحويل مياه النيل الأزرق عن نهر النيل، وقضية محور قطاع سيناء، وقانون الصكوك، وقانون السلطة القضائية و... إلخ.

بعد هذا التوضيح قلت أنا:

- بصراحة بقى الإخوان دول «ميت فُل وعشرة»، «إخوان - إخوان يعنى مش هزار».

سألني «هجرس» مبتسمًا:

- إزاي يا محمود؟ فهمني يعني إيه ميت فـ.....

- أقصد إنهم أغبياء، غباء منقطع النظير!! مع ذلك يجب الإشادة بما صرحت به نائبة «الشورى» السيدة نادية هنري جرجس ـ عضو التيار المدني بالمجلس ـ تعليقًا على حكم البطلان عندما قالت: «إن قرار الدستورية العليا بحل المجلس لا يمنع من حقيقة واحدة، وهى أن هذا المجلس منذ نشأته وهو باطل».

يتغير لون «هجرس»، فيقول:

- بصراحة الشعب الآن ـ إلا القلة القليلة التابعة للإخوان والمستفيدين منهم ـ «قرف» من كل شيء، وفقد الأمل في يومه وغده. والمطلوب إذا كان الرئيس الإخواني فعلاً يحب هذا البلد ويحرص على مصلحة هذا الشعب - وأشك في ذلك- فعليه أن يرحل، ويترك الحكم لمن يتقي الله في أرضنا وعرضنا.

العبد لله مؤيدًا للكاتب الكبير:

- ينصر دينك. نعم نطالبه بالرحيل وإجراء انتخابات مبكرة من أجلنا جميعًا بمن فينا أهله وعشيرته وإخوانه، نطالبه بالرحيل؛ حفاظًا على ما تبقى من رباط يجمع هذا الشعب. فليرحل «مرسى»؛ حفاظًا على صورة الإسلام الذى شوهته جماعته داخليًّا وخارجيًّا.. فليرحل حتى يعم الأمن والاستقرار هذا الوطن.. فليرحل حفاظًا على عدم تقسيم مصر إلى دويلات «نوبية وبدوية وقبطية وقاهرية».. فليرحل من أجل الحفاظ على مكانة المحروسة عالميًّا وإقليميًّا وعدم إهانتها أكثر من ذلك.. فليرحل

حتى يستطيع الشعب بناء نهضته الحقيقية بعد أن ضحكتم عليهن وخدعتموه بنهضتكم المزيفة.. فليرحل حفاظًا على مدنية الدولة وتماسكها وعدم بعثرتها.

ولأن كلام الكاتب الصحفي الكبير كان منطقيًّا جدًّا؛ وافقته الرأي وذكرت ما سبق، ثم أضفت عليه:

- نعم يجب أن يرحل هذا الإخوانجي؛ من أجل نشأة جيل جديد يعشق تراب هذا البلد بعيدا عن التعصب والتحزب والتأدين.. يرحل من أجل قضاء نزيه وقضاة محترمين.. يرحل من أجل رجل دين يعمل بصحيح القرآن والسنة النبوية المطهرة.. يرحل من أجل كنيسة تحافظ على هوية وانتماء مواطنيها.. يرحل من أجل إعلام مستقل وإعلاميين شرفاء لا ينتمون لرخصة «السمع والطاعة والتقية».. واسترسلتُ وسط إعجاب هجرس وأستاذ العلوم السياسية:

- يرحل من أجل الحفاظ على شبابنا من الإلحاد بعد أن صُدِمَ في جماعته.. يرحل من أجل الحفاظ على الوعود والعهود والقضاء على لصوص البنزين والسولار وعدم تهريبهما لحماس.. يرحل حفاظًا على استمرار غلق الأنفاق التي تُهدد الأمن القومى المصرى.. يرحل من أجل بناء رجل شرطة يعمل لصالح الشعب لا لصالح عصابة.. يرحل من أجل جيش قوى يعرف حقوقه وواجباته، ويحافظ على مواطنيه وأرضه من الخونة والعملاء.. يرحل من أجل محاسبة المتاجرين بالدين لصالح جهة هنا أو هناك على غرار ما حدث في أفغانستان.

سعد جدًّا الأستاذ الجامعي من طرحي أنا و«هجرس». وقبل أن ينزل في محطة رمسيس، أبَى إلا أن يشاركنا الرأي أيضًا في ضرورة رحيل الرئيس الإخوانجي عن الحكم، فقال:

- نعم يجب أن يرحل هذا الرئيس هو وجماعته عن حكمنا؛ حتى تظل مصر «هبة النيل».. يرحل من أجل القضاء على الخنوع والإذلال والشحاتة من دول

العالم حتى نأكل.. يرحل من أجل بناء الثقة فى نفوس شباب الثورة وعدم التمثيل بهم في السجون والمعتقلات وقتلهم بدم بارد.. يرحل من أجل فتاة قوية عزيزة شريفة لا تهاب النزول إلى الميادين ضد الفساد والظلم أو المتحرشين.

وأكمل:

– يرحل من أجل الحرية والعدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية التي نادت بها ثورة الشباب البيضاء في 25 يناير بعيدا عن من شوهوها أو استغلوها.. يرحل من أجل دستور ينصف الشعب ويعمل لصالحه وليس لصالح فصيل بعينه.. يرحل من أجل مجلسي شعب وشورى غير مزورين، ويعملان لصالح مصر. فالرحيل مطلب الشارع المصري الذى يهتف الآن ضد «مرسى» وضد مكتب الإرشاد المتحكم بكل شيء في مصر.

بعد تلك الكلمات تركنا أستاذ الاقتصاد والعلوم السياسية في محطة رمسيس، بعد أن بادلني والأستاذ سعد هجرس السلام والدعاء لمصر بالنهوض من عثرتها.

حينها قال لي «هجرس»:

– هذا الرجل لديه رؤية وفكر، على الرغم من أنه «حِشَري»، لكن على أي حال والله يا محمود، لا أعرف بالضبط كيف سيجيب محمد مرسى ربَّه يوم العرض عليه، عندما يُسأل عما حدث في مصر بعد اعتلائه كرسي الحكم، خصوصًا وأن جميعنا يعلم كيف تكونت هذه الجماعة وما أهدافها وبأي الأساليب استمرت ومن هم عناصرها.

فقلت له:

– كما نعلم أيضًا أن «مرسى» شخصيًّا مُدان في جرائم ما زالت المحكمة لم تبتَّ فيها، كما نعلم مساندة الأمريكان لجماعته، وكذلك بعض الُعربان من مبدأ

«المصالح تتصالح»، وكل هذه الأمور وغيرها أصبحت جزءًا لا يتجزأ من سياسة وتربية الإخوان.

أضاف «هجرس»:

– وهذا الأمر لم يعد غريبًا علينا، لكن الغريب حقًّا بعد وصول هذه الجماعة للحكم هو ظهور خلايا إخوانية نائمة هنا وهناك؛ كنا نظنها قامات وطنية تعمل لصالح مصر التي منحتهم هذه المكانة، لكن واااااحسرتاه على العباد!!

قلت له:

– لا غرابة ولا استغراب على الإطلاق من الحكم الأخير للدستورية العليا ببطلان مجلس الشورى «البااااطل» مع إرجاء هذا الحكم بقوة المادة «230» من الدستور «البااااطل».. والذى جاء بواسطة «جمعية تأسيسية باااطلة».

قال لي الكاتب الكبير:

– ومع كل ذلك يا محمود، لا بد من التأكيد جيدًا على أن هذا الشعب يأبى أن يمتطيه أحد أيًّا كان مجددًا.. وإن غدًا لناظره قريب.

وقبل أن أغادر المترو مع «هجرس» في محطة الدقي، قلت له:

– صدقت والله، فمن كان يصدق أن المستشار حسام الغريانى أو المستشار ثروت بدوى أو د. محمد سليم العوا أو حتى المستشار حاتم بجاتو، آاااه منه «بجاتو» ده !! أو المستشار أحمد كمال أبو المجد يفضلون مصلحة «الإخوان» على مصلحة «أم الدنيا». والله شيء مؤسف ومخجل، و«يخلى الواحد ـ بجد ـ يتقيأ!!.. انتهى.